نظرة يسارية إلى الأمام

عطية مسوح
كاتب (سوريا)

يثير المفكر الماركسي كريم مروة لدى قارئه الجاد نزعة التفكير والحوار. فهو يطرح أفكاراً عميقة جريئة، تستند إلى تجربته الغنية في العمل السياسي والفكري وثقافته الواسعة المتنوعة وطموحه الصادق إلى العدالة والحرية.

كريم مروة ينظر إلى الأمام. وحين يراجع ماضي الحركة اليسارية العربية عامة، والشيوعية خاصة، فإنه يفعل ذلك مدفوعاً بهاجس النهضة والتقدم. فالماضي عنده تجربة ينبغي أن تدرس دراسة نقدية، لا لتدقيق المسارات تدقيقاً جزئياً فقط، بل لإحداث الإنعطافات حين تقتضي الضرورة. وقارئ كتابه الجديد «نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي» يلمس أن الضرورة قائمة، وأن مسيرة اليسار العربي الذي هو حاجة موضوعية لا غنى عنها لتحقيق نهضة العرب وتحررهم وتقدمهم تحتاج إلى انعطاف جذري في بنية هذا اليسار ومضامينه وجدول أعماله، وأن الحوار حول هذا الإنعطاف مهمة كبيرة أمام اليساريين العرب، للوصول إلى حركة، أو حركات يسارية يكمل بعضها بعضاً، تستطيع النهوض بأعباء المرحلة، والتواصل مع اليسار العالمي، لمواجهة التوحش الرأسمالي المعولم وحماية الإنسان وقيمه.

الكتاب، وهو صادر عن دار الساقي عام ٢٠١٠، يتكون من قسمين، الأول بعنوان «اليسار العالمي وتحولات العالم المعاصر»، والثاني عبارة عن نصوص مختارة لماركس وإنجلز ولينين وبليخانوف وروزا لوكسمبورغ وغرامشي، اختارها المؤلف

بدقة. وهي تؤكد نقطتين ركز عليهما المؤلف في بحثه، هما: ضرورة الإنطلاق من الواقع الموضوعي ومعرفة احتياجاته وتبدلاته، وتقديم ذلك على أية فكرة نظرية، والتحلي بالنزعة النقدية، التي تشمل نقد الواقع ونقد الآخر ونقد الذات.

ولعل هذه المختارات تعزز صدق ما عبر عنه المؤلف بقوله :إنه سيظل يستند في هذه الظروف والشروط الجديدة إلى منهج ماركس المادي الجدلي، ويتمسك بالخيار الإشتراكي والقيم الإنسانية.

في القسم الأول من الكتاب يطرح الكاتب عدداً من الفكر التي يشكل بعضها قاعدة ينطلق منها لوضع عشرين نقطة لا بد لليسار الجديد من الإستناد إليها حتى ينهض ويحقق الفاعلية. ومن هذه الفكر ما يتعلق بجوهر المرحلة العالمية الراهنة التي يناضل اليساريون فيها. وهي مرحلة العولمة، التي يحددالكاتب جانبيها الإيجابي والسلبي. فهي تحقق التقدم الشامل، وتشق أوتوسترادات المعرفة والإتصال، وتعمم الكثير من التقنيات الحديثة، وهي تزيد الإستغلال وتشدد الظلم والتمييز والتفاوت في الثروة، كما تدمر الطبيعة.

ويعيد الكاتب إلى الأذهان فكرة الحاجة إلى نظام عالمي جديد. لكنه يبين المعوقات التي تقف في وجه الوصول إلى هذا النظام. ويفصلها في عشرة معوقات يتصل معظمها بالرأسمالية العالمية والقوى المحافظة فيها. وهي قوى لا مصلحة لها بهذا النظام، ويتصل بعضها بضعف فاعلية الحركات اليسارية والتقدمية.

في هذه الظروف الدولية، وظروف التخلف العربي في كل جوانب الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، يرى الكاتب أن المطلوب من اليسار العربي أن يضع برنامجاً جديداً للتغيير، وأن يؤسس حركة معاصرة تقوم علاقتها مع اليسار القديم على أخذ الإيجابي والتخلي عن السلبي، وتحدد أهدافاً مرحلية واقعية

تصب في الهدف الكبير وهو «نقل بلداننا من حالتي التخلف والإستبداد، ووضعها على طريق الحرية والتقدم واحترام حقوق الإنسان».

وبهذا المعنى، يؤكد الكاتب أن اليسار العربي معنى باستعادة حركة النهضة.

أما الفكرة الرئيسية التي يرى الكاتب ضرورة الإنطلاق منها لتقوية النزوع اليساري التغييري وتحقيق فاعليته في عالمنا العربي، فهي رحابة النظر إلى مكونات اليسار، أو ما سماه «التوسع في دائرة أهل اليسار». فاليساري هو كل من يريد لبلده الحرية والتقدم سواء أكان شيوعياً أم إشتراكياً أم قومياً متأثراً بالإشتراكيةأم ديمقراطياً بالمعنى الواسع للمفهوم. إنه كل من يسعى إلى الخلاص من التخلف ويقف في وجه الاستقطاب الرأسمالي عالمياً ومحلياً».

هنا يوسع كريم مروة دلالة المفهوم، ويوسع بالتالي قاعدة النضال من أجل التحرر والتقدم والعدالة. لكن هذا التوسيع يعني المزيد من التنوع والتعدد في الحركة اليسارية. وهذا ما يقتضي شرطاً آخر للممارسة السياسية اليسارية. وهو أن تسود في الحركة ثقافة التنوع والتعدد وحق الأفراد والجماعات في التعبير عن الإختلاف.

وإذا كانت ثقافة التنوع ضرورية في الصف اليساري ذاته، فهي ضرورية في المجتمع كله. أما الصراع من أجل تحقيق الأهداف، بين اليمين واليسار، بين القوى المتناقضة في مصالحها ورؤاها فمن الضروري أن يجري بوسائل ديمقراطية، بعيداً عن العنف. وهكذا يؤكد الكاتب فكرة نبذ العنف من الحياة السياسية نبذا كلياً، منسجماً مع الهدف المرحلي الكبير الذي طرحه، وهو بناء الدولة الحديثة في بلداننا العربية. وهي الدولة الديمقراطية، دولة الحق والقانون.

بعد ذلك يطرح الكاتب عشرين قضية (أو مهمة) تشكل المرتكزات الأساسية

لبرنامج التغيير اليساري الذي يقترحه، ويفصل في عرض هذه القضايا، التي هي القسم الأكثر أهمية في الكتاب.

لا يتسع المجال في هذه المقالة لعرض تلك القضايا العشرين بالتفصيل. وأي عرض لها لا يغني القارئ عن مطالعة الكتاب. لكنها قضايا تشمل كل جوانب الواقع بتجلياته العربية والقطرية، وانطلاقاً من مهمة بناء الدولة الحديثة، والمجتمع المدني بدلاً من المجتمع الأهلي، والتقدم الإقتصادي والتنمية والضمانات الإجتماعية، والثقافية والعلم، وقضايا الشباب والمرأة وغير ذلك.

أما القضية الوطنية والقومية فتحتل موقعاً مهماً. ففي الأولى يقدم الكاتب الإنتماء الوطني على أي انتماء آخر. وفي الثاني يدعو إلى التكامل العربي التدرجي وصولاً إلى الإتحاد العام بين الدول العربية، ويولي القضية الفلسطينية اهتماماً خاصاً.

يأتي ذلك كله بمضامين واقعية جديدة تعبر عن استيعاب معطيات العصر وإيقاعاته، ووضع اليد على أخطاء الماضي، والتمسك بأهداف التحرر والتقدم والعدالة.

الكتاب جدير بأن تعقد حوله ندوات ولقاءات حوارية. فقد يجد كثير من اليساريين في بعض أفكاره ما يخالف قناعاتهم وآراءهم. فأفكار الكتاب مغايرة لما هو مألوف في صفوف الحركات اليسارية التي ناضلت على امتداد القرن العشرين.

نشر في جريدة النور السورية